

عبادة السيدة فاطمة

"ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة"



المحاور الموضوع	الهدف
١. العبادة بمفهومها العام	إظهار فضل فاطمة وكرامتها على الله تعالى لخلوص عبادتها
٢. العبادة بمفهومها الخاص	تصدير الموضوع
٣. العبادة بمفهومها الأخص	عن الحسن البصري : «ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تورم قدماهما» ^(١)
٤. كرامة لفاطمة <small>عليها السلام</small>	
٥. كرامة أخرى لفاطمة	

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٨٤.

عن اللعنة و ترك السرقة إيجاباً للغة و حرّم الله الشرك إخلاصاً له بالرّبوبيّة. فـ «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه، فإنه «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^(٢) وقد أبدعت سلام الله عليها في تبيان جوانب من فلسفة الأحكام من خلال عبارات قصيرة،

العبادة بمفهومها الاخص

ان مفهوم العبادة بالمعنى الاخص نغني بها الصلاة، وللصلاة فلسفة عظيمة منها ما ذكرته مولانا الزهراء عليها السلام، وأهم أمر تؤدبه الصلاة هي وقاية الانسان من الوقوع في المحرمات، قال تعالى : ﴿... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٣)

ولذلك ورد في الأحاديث : «كن ورعاً تكن أعبد الناس وخير دينكم الورع». ولقد سارت مولانا على طريق العبودية منذ ولادتها، وهي على هذا الحال إلى أن فارقت روحها الحياة. جاء في قصة ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام و انعقاد نطفتها من ثمار الجنة و حضور النساء الأربع عند ولادتها: «فولدت فاطمة عليها السلام فوقعن حين وقعت على الأرض ساجدة»^(٤). وعن الإمام الحسين عن أخيه الإمام الحسن عليهما السلام قال: رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راکعة ساجدة حتى أتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتُسميهم، وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء. فقلت

وقد كانت سيدتنا الزهراء عليها السلام بهذا المعنى العابد لله تعالى، حتى كانت من المطهرين، يقول سبحانه: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»^(٥) فهي من أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. ومن أسمائها التي أطلقها رسول الله عليها «الطاهرة». فهي الطاهرة لذلك استحققت ان تكون أمّاً للآئمة الأطهار عليهم السلام.

العبادة بمفهومها الخاص

ان العبادة بمفهومها الخاص تعني الالتزام بالرسوم العبادية التي شرعها الله تعالى كالصلاة والصيام والحج، وهي وسيلة من وسائل القرب الى الله تعالى، وفي الحقيقة ان كل تشريعات الاسلام اذا ما التزم بها الانسان فانه سيقترب من الله سبحانه. عن سيدتنا الزهراء عليها السلام : «... فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، و الصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، و الزكاة تزكية للنفس، و نماءً في الرزق، و الصيام تثبيتاً للإخلاص، و الحج تشبيداً للدين، و العدل تنسيقاً للقلوب، و طاعتنا نظاماً للملة، و امامتنا أماناً من الفرقة (للفرقة)، و الجهاد عزّاً للإسلام، و الصبر معونة على استيجاب الأجر، و الأمر بالمعروف مصلحة للعامة، و برّ الوالدين وقاية من السخط، و صلة الأرحام منماة للعدد، و القصاص حقناً للدماء والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة و توفية المكاييل و الموازين تغييراً للبخس، و النهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، و اجتباب الكذب حجاباً

اعتبر الاسلام أن طريق الكمال لا يسلكه الرجال فحسب بل للنساء فيه نصيب، «ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً»^(٦)

وكما أن في الرجال قدوات في العلم والعمل كذلك في النساء، «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فَرَعُونَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(٧)

ومن القدوات النسائية المهمة فاطمة الزهراء عليها السلام، عن رسول الله ﷺ : «... وإنها سيدة نساء العالمين فقيل : يا رسول الله هي سيدة نساء عالمها ؟ فقال : ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»^(٨)

العبادة بمفهومها العام

ان العبادة بمفهومها العام تعني الخضوع والانقياد والطاعة للمعبود،



(٥) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٠٨.
(٦) سورة العنكبوت الآية ٥٥.
(٧) ذخائر العقبى ص ٤٤.

(٨) سورة الاحزاب، آية ٢٢.

(١) الاحزاب الآية ٣٥
(٢) (التحریم، الآية : ١١)
(٣) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٨٥

لها: يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار. وروى الحسن البصري: ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تورم قدماهما.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: وأمّا ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني وهي نور عيني وهي ثمرة فؤادي، وهي روعي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية: متى قامت في محرابها بين يدي ربها (جل جلاله) زهر نورها لملائكة السماء كما يزهو نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله (عز وجل) لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي: فاطمة، سيدة إمائي قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبي على عبادتي، أشهدكم أنني قد أمنت شيعتها من النار... الخ.

وفي كتاب عدة الداعي: وكانت فاطمة رضي الله عنها تنهج في الصلاة من خيفة الله. والنهج - بفتح النون والهاء - تتابع النفس. والأحاديث في عبادة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها كثيرة، خاصة الأدعية التي كانت تتاجي بها ربها.

كرامة لفاطمة رضي الله عنها

إن لأولياء الله كرامات لا تنكر فكلمنا تمحض الانسان لله كلما أعطاه الله الكرامة في الدنيا والاخرة وكلما عبده مخلصاً كلما أعطاه من العطايا، ولا ينبغي على المؤمنين انكار كرامات الاولياء، فإن التاريخ يحدثنا عن ذلك، وسيدتنا الزهراء رضي الله عنها كان لها كرامات لا تنكر، وهذا بعض ما ذكر من كراماتها، فعن أبي سعيد الخدري قال: أصبح علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذات يوم ساجداً وقال: يا فاطمة هل عندك شيء تغذي به؟ قالت: لا، والذي أكرم أبي بالنبوة، وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة شيء، وما كان شيء أطعمناه مذ يومين إلا شيء كنت أؤثره بك على نفسي، وعلى ابني هذين؟ الحسن والحسين، فقال علي: يا فاطمة؟ ألا كنت أعلمتي فأبغيك شيئا؟ قالت: يا أبا الحسن إني لأستحي من إلهي أن أكلف نفسي ما لا تقدر عليه، فخرج علي بن أبي طالب من عند فاطمة رضي الله عنها واثقا بالله بحسن الظن، فاستقرض ديناراً فبينما الدينار في يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يريد أن يبتاع ليعالها ما يصلحهم، فتعرض له

المقداد بن الأسود، في يوم شديد الحر، قد لوحت الشمس من فوقه، وأذته من تحته فلما رآه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنكر شأنه فقال: يا مقداد ما أزعجك هذه الساعة من رحلك؟ قال: يا أبا الحسن خلّ سبيلي ولا تسألني عما ورائي!! فقال: يا أخي إنه لا يسعني أن تتجاوزني حتى أعلم علمك. فقال: يا أبا الحسن رغبة إلى الله واليك أن تخلي سبيلي، ولا تكشفني عن حالي!! فقال له: يا أخي إنه لا يسعك أن تكتمني حالك. فقال: يا أبا الحسن! أمّا إذا أبيت! هو الذي أكرم محمداً بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أزعجني من رحلي إلا الجهد وقد تركت عيالي يتضورون جوعاً، فلما سمعت بكاء العيال لم تحملني الأرض، فخرجت مهموماً، راكباً رأسي، هذه حالي وقصتي!! فانهمرت عينا علي بالبكاء حتى بليت دمعته لحيته فقال له: أحلف بالذي حلفت: ما أزعجني إلا الذي أزعجك من رحلك، فقد استقرضت ديناراً، فقد أثرتك على نفسي، فدفعت الدينار إليه ورجع حتى دخل مسجد النبي ﷺ فصلّى فيه الظهر والعصر والمغرب، فلما قضى رسول الله ﷺ المغرب مرّ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في الصف الأول فغمزه برجله، فقام علي متعجباً خلف رسول الله ﷺ حتى لحته على باب من أبواب المسجد، فسلم عليه فردّ رسول الله ﷺ السلام، فقال: يا أبا الحسن هل عندك شيء نتعشاه فتميل معك؟

فمكث مطرقاً لا يجير جواباً، حياءً من رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ يعلم ما كان من أمر الدينار، ومن أين أخذه وأين وجهه، وقد كان أوحى الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ أن يتعشى تلك الليلة عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فلما نظر رسول الله ﷺ إلى سكوته فقال: يا أبا الحسن ما لك لا تقول: لا. فأنصرف؟ أو تقول: نعم، فأمضي معك؟ فقال - حياءً وتكرماً - : فاذهب بنا!!

فأخذ رسول الله ﷺ يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فانطلقا حتى دخلا على فاطمة رضي الله عنها وهي في مصلاًها قد قضت صلاتها، وخلفها جفنة تفور دخاناً. فلما سمعت كلام رسول الله ﷺ خرجت من مصلاًها فسلمت عليه وكانت أعزّ الناس عليه، فردّ عليها السلام، ومسح بيده على رأسها وقال لها: يا بنتاه كيف أمسيت؟ قالت: بخير. قال: عشيّاً،

رحمك الله، وقد فعل.

فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب.. إلى أن قال: فقال علي لها: يا فاطمة أتئ لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه قط، ولم أشم ريحه قط، وما أكل أطيب منه؟ قال: فوضع رسول الله ﷺ كفه الطيبة المباركة بين كتفي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فغمزها، ثم قال: يا علي! هذا بدل دينارك، وهذا جزاء دينارك من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. ثم استعبر النبي ﷺ باكياً، ثم قال: الحمد لله الذي أبى لكم أن تخرجوا من الدنيا حتى يجزيكما ويجزيك - يا علي - مجرى زكريا، ويجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً.^(١)

كرامة أخروية لفاطمة

ولقرب الزهراء من الله تعالى أكرمها أيضاً في الآخرة، فهي أول من يدخل الجنة، وقد ثبت من خلال رويات أهل السنّة المعروفة أنّ الرسول ﷺ نسب هذه المنقبة إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها ولعدة مرّات. فعن الرسول الكريم ﷺ: «أول شخص يدخل الجنة فاطمة رضي الله عنها».^(٢)

وعنه ﷺ: «أول شخص يدخل الجنة فاطمة بنت محمد ﷺ و مثلهما في هذه الأمة مثل مريم في بني إسرائيل».^(٣)

مما يدل على ما نقله الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة و عليها حلة الكرامة قد عجت بماء الحيوان، فتنتظر إليها الخلائق فيتعجبون منها» يضيف ﷺ في آخر الحديث: «فتزف إلى الجنة كالعروس لها سبعون ألف جارية».^(٤)

و تروي عائشة عن الرسول الكريم ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد يا معشر الخلائق طأطأ رؤوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد».^(٥)

السلام عليك يا بضعة رسول الله ﷺ يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعثن حيّة

(١) (كتاب البحار عن تفسير فرات بن إبراهيم)

(٢) ميزان الاعتدال، ج٢، ص١٣١.

(٣) كنز العمال، ج٦، ص٢١٩.

(٤) ذخائر العقبى، ص٤٨.

(٥) تاريخ بغداد، ج٨، ص١٤١.